بدايات نشوء المدرسة في العالم الاسلامي

م. ستار جبار احمد

كلية الاثار- جامعة الكوفة

٠٧٩٠٣٣٠١١٣٦

بدايات نشوء المدرسة في العالم الاسلامي

م. ستار جبار احمد

Abstract:

Research on formal education and its genesis invites further exploration of a series of inquiries: What constituted the landscape of education prior to the establishment of schools under the patronage of the Arab Islamic state? How were educational disciplines and institutions defined, when did they come into existence, and what were the underlying factors and catalysts for their emergence? To what degree did the state assume responsibility in overseeing educational affairs, and what was the interplay between the institution of schooling and the advancement of society during that specific era?

The interest in education originated from a comprehensive system aimed at nurturing the human persona in alignment with a religious perspective founded on a series of teachings and guidance necessary for personal growth and the acquisition of knowledge to decipher life's mysteries. Education serves as a pivotal conduit for obtaining knowledge, fostering intellectual development, instilling proper values, and expanding religious studies. Within our research, we have examined the significance of education, commencing with the acquisition of literacy skills during the era of the esteemed Messenger Muhammad (peace be upon him) and his dedication to educating Muslims, as highlighted by examples from the Noble Qur'an. We have explored various centers of education, including Dar Al-Arqam, Al-Kateeb, mosques, houses of knowledge, scholarly councils, and bimaristans. These establishments paved the way for the establishment of the first mosque incorporating an educational institution, namely the Al-Qarawiyyin Mosque in Fez. Subsequently, during the Seljuk era, independent schools flourished, with the Nizamiya institutions under the King's administration, namely the two Nizamiya schools in Baghdad, which we have addressed, as well as the Nizamiya school in Basra. Our study also encompasses the Mustansiriya school and the central school, both of which were meticulously managed.

Keywords: (Education - reading - writing - ktatib - mosques - schools - Al-Nizamiya - Mustansiriya)

المقدمة:

ان البحث في التعليم النظامي ونشاته يدفعنا للتعمق في مجموعة من التساؤلات، هي كيف كان حال التعليم قبل المدارس التي كانت ملتزمة من قبل الدولة العربية الاسلامية؟ ماهي مجالاتها واماكنها ومتى نشأت وماهي العوامل واسباب النشأة؟ والى ايَّ حد اخذت الدولةُ دورها في ادارتها وما علاقة المدرسة بتطور المجتمع آنذاك.

جاء الاهتمامُ بالتعليم ضمنَ منظومة متكاملةٍ تهدفُ الى بناءِ شخصية الانسان وفقَ رؤيةٍ دينيةٍ تقومُ على مجموعة من التعاليم والارشادات يحتاجها الفرد للتنمية وزيادة المعارف لفك اسرار الحياة فالتعليم يعتبر المدخل المهم للحصول على المعارف لتنمية العقل والتربية الصحيحة وزرع الاخلاق الحميدة اضف الى ذلك الاستزادة بعلوم الدين الفرعية. وتناولنا في بحثنا اهمية التعليم والبداية كانت في تعلم القراءة والكتابة على عهد الرسول الكريم محمد (ﷺ) وكيف انه كان حريصاً على تعليم المسلمين كذلك امثلة القران الكريم، واستعرضنا اماكن التعليم بدءاً من دارِ الارقم والكتاتيب والمساجد ودور العلم والمجالس العلمية والبيمارستانات كل هذه الاماكن ادت الى تمخض اول مسجد بداخله مدرسة وهو جامع القرويين بفاس، بعدها وفي العصر السلجوقي كانت الشرارة الحقيقية في انطلاق المدارس المستقلة وكانت بداياتها في نظاميات نظام الملك والتي كانت حصة العراق منها نظاميتين نظامية بغداد والتي تطرقنا اليها ونظامية البصرة، ايضا مررنا على المدرسة المستنصرية ومركزية ادارتها.

<u>الكلمات الدالة:</u> (التعليم–قراءة–كتابة–كتاتيب– مساجد – مدارس–نظامية–مستنصرية)

اولاً: <u>أهمية العلم:</u>

كانت البداية الاولى "في الاسلام"، مع القراءة والكتابة على اعتبار أَن التعليم اللبنة الاولى لنهضة الامم فالكلمة الاولى التي تلقاها النبي الاكرم محمد(صلى الله عليه وسلم)، هي

اقرأ بدأ بعدها ينقل الى النفر القليل الذي آمن به في بداية الدعوة الاسلامية ، هنا بدأت العملية التعليمية الاولى في الاسلام فروي عن ابن عباس" كان النبي يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن"[١]. ان الانتماء للدين الجديد كان يتطلب جملة معارف اولها حفظ القرآن الكريم قبل الكتابة، اما من كان يعرف القراءة والكتابة فقد كان جهازاً لتلقي تعاليم الدين الجديد. اضف الى انه كان يجلس عند الرسول الاكرم لكتابة الآيات التي نزلت على صدر الرسول محمد (ﷺ) كذلك من المحطات المهمة بعد ايام الدعوتين في مكة المكرمة كانت معركة بدر عندما امر النبي (ﷺ) فدية الاسرى من المشركين على ان يعلم كل اسير عدد من المسلمين القراءة والكتابة[٢].

اذن الخطوة الاولى كانت بتعلم القران الكريم قراءة وكتابة ومن الادلة القرآنية على اهمية العلم والتعليم قوله تعالى ﴿ يرفع الله الذين امنو منكم والذين اوتوا العلم درجات"[٣]، وقوله تعالى "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[٤].

وعليه فأن العلم مقدسٌ في ديننا الحنيف ومحاطٌ برعاية دينية فالتعلم هو اكتسابُ المعارفِ التي يحويها العلم، والتعليم هو قيام المتعلم بنشره بين افراد المجتمع[٥].

ثانياً: اماكن التعليم:

تطلب من المتعلمين الاوائل في بداية الدعوة الاسلامية الى مكان سري بعيداً عن اعين المشركين لان المرحلة الاولى كانت تتطلب السرية في دار الارقم[٦].

بعد ذلك وبعد اشتداد عود الدولة العربية الاسلامية كان الانتقال من البيت السري الى أماكن خاصة تعتبر وليدة عوامل مجتمعية هي الكتاتيب والمساجد ومنازل العلماء ودورهم كذلك البيمارستانات، تطورت وتدرجت فلم تقتصر على مكان واحد.

١. **الكتاتيبُ:**

الكتّاب مصدرها كتب والمعنى الاصطلاحي هو مكان التعليم وجمعها كتاتيب وهي مدرسة صغيرة لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظ القران الكريم، ويشمل المكان عنصرين (

المعلم والصبيان) والموضع. قد يكون غرفة صغيرة او تحت شجرة فالمعلم مع صبيانه في اي موضع يطلق عليهم كتّاب، وقد عرف العرب الكتّاب قبل الاسلام وأول من تعلم الكتابة من اهل مكة هو سفيان بن امية بن عبد شمس[٧] وغيره من أهل قريش وقد تعلم من بشر بن عبد الملك[٨] الذي تعلمها بدوره من اهل الحيرة. وكانت مهمة معلمي الكتاتيب تصب فقط على تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ولا يوجد نظام محدد فالمعلم هو صاحب الكلمة، أما الانتسابُ الى حلقات المعلمين هذه يكونُ مبنيٌّ تحتَ اتفاق مع اهلِ الاولادِ فهو مالكُ الكتّابِ والمديرُ والمحاسبُ والمعلمُ[٩].

وقد مرَّ الكتّابُ بمرحلتين:

الأولى: كتاتيبٌ اوليةٌ كان يتعلمُ فيها الاطفالُ القراءةَ والكتابةَ ويحفظونَ القرآنَ الكريمَ ومبادئَ الدينِ.

الثانية: كتاتيبٌ لتعليمِ الاطفالِ والشبانِ علومِ اللغةِ والآدابِ وكانوا يتوسعون فيها بعلوم الحديث وسائر صنوف العلوم الاخرى بصورة عامة.

فعندَ وصولِ الصبي الى الكتّابِ يباشرُ في المرحلةِ الاولى، وعند اكمال المرحلة الاولى يحقُّ للطالب ان يباشر بالمرحلة الثانية وعلى هذا المنوال استمرتْ الكتاتيبٌ حتى بظهورِ الاماكنِ الاخرى اذ اصبحتْ مرحلةٌ تمهيديةٌ للمراحلِ الدراسيةِ التي تَبِعتها[١٠].

٢. **المساجدُ:**

تعددتْ ادوارٌ المساجد ووظائفها فقد سلمنا انها أُنشئَتْ كبيوتٍ للعبادةِ، الاَّ إنَّها أَخَذتْ موقعَها في حياةِ المسلمين بأشكالٍ عدةٍ اضافةً للعبادةِ فقد جُعِلَ مركزاً للتعليم وكذلك داراً للقضاء ومقراً لاجتماع المسلمين للتداول في الشؤون العامة، اما الدور التعليمي الذي ادته المساجدُ ارتبطَ بوظيفتها الدينيةِ، فبيت الصلاة هو نفسه بيت العلم على اعتبار ان العلمَ نوعٌ من انواعِ العبادةِ وهذا ما عمل عليه النبيٌّ الاكرمُ ومن بعده المسلمينَ اذ عدوا المسجدَ المكانَ المفضلَ للتعليمِ وخاصةً العلوم الاسلامية او الفنية او الادبية واللغة العربية التي استمرتْ بقوةٍ داخلَ

المساجدِ. كانت هذه العلومُ يتُّم تدريسها في المسجد النبوي ومن بعده في المساجد الرئيسية التي تحولت الى مراكزٍ لتدريسِ مختلفِ العلوم(١١).

اما عن كيفيةِ ادارةِ حلقاتِ العلمِ في المساجدِ، فكان في الغالب للمراحل العالية والمستوى المتقدم في السن خوفاً من الصبيان على المسجد أَن الاطفال لا يعرفون قيمة المسجد وخوفاً منهم من العبث فبه، لكن هذه القاعدة لم تخلُ من الشواذ اذ كانت بعض المساجد فيها صبيان على ان يكونوا ضمنَ مسؤوليةِ المعلم لضبطِ تصرفاتهم(١٢).

٣. **دور العلم:**

كان هناك بعض الاماكن التي تعتمد للتعليم سميت بدور العلم او دور الكتب او خزانات الكتب كذلك اطلق عليها بيت الحكمة أو خزانة الحكمة او دار الحكمة وإنشاء هذه الدور كان يستدعي تأمين مقومات الاستمرارية لها من خلال الادارة بالتمويل الذي اعتمدتْ عليه الاوقاف. وقد حرص منشؤوا هذه الدور على اختيار العلماء المشهورين والاكفاء لتولي امرها، من ادارة وتعليم واحياناً المدير هو المعلم الذي يلجأ اليه الطلاب لحل الاشكالات المستعصية(١٣).

وتوزعتْ دورُ الحكمةِ في جميعِ انحاء الدولة العربية الاسلامية، وحرص المسؤولون على وجود معلمين يمارسون التعليم بانتظام وهو تعليمٌ يشمل مجالات عدة الفقه ، النحو ، الحديث اضافة الى العلوم الحياتية وكانت هذه الدور مدارساً مصغرةً من ناحية الانفاق على الطلبة لتأمين حاجاتهم من مأكلٍ وملبسٍ ومصاريف يتطلبها السكنُ(١٤).

٤. **المجالسُ العلميةُ:**

فضلاً عما سبقَ كانَ هناك مجالسٌ علميةٌ تُعقَدُ في بيوتِ العلماء حيثْ كانَ اهلُ العلمِ يخصصون زاويةً في بيوتهم لاستضافةِ طلابِ العلمِ والعلماءِ لمناقشةِ المسائلِ العلمية المختلفة كلٌّ حسب اختصاصه، ولا ننسى الامراء كانوا يخصصون جناحاً خاصاً لعقد مثل هكذا ندواتٍ تعتبرُ خاصةً بالأمراءِ(١٥).

٥. **البيمارستان:**

كلمة معربة من الفارسية اختصرت الى مارستان ومعناها "دار المرضى"، واصلها بيمارستان كما يقول ياقوت "بيمار عندهم هو المريض، واستان المأوى"[١٦]، استُعمِلتَ البيمارستاناتِ كأحدِ الامكنةِ في تعليم الطلبة لعلم محدد وهو الطبُ وتفرعاتهِ وكان التعليمُ يتُّم فيها بالتجربة. والملاحظ بعد اخذ دروسٍ نظريةٍ على يدِ الاطباءِ نشطَ هذا المجالُ التعليميُّ في المشافي خاصةً في العصرِ العباسيّ[١٧].

ظل البيمارستان داراً للمرضى ومكاناً للتعليم ولم ينفصل التعليم عنها الابعد قرون من الزمن عندما أنشأَتْ المدرسةُ المستنصريةُ[١٨]. هذه الاماكنَ يسرتْ الطريقَ امامَ انشاءِ المدارسِ لكنها ظلت على اختلاف انواعها ومجالات التعليم فيها محافظة على وجودها، لكن التعليمَ فيها ظلَّ خاضعاً بمجمله لمؤثراتِ المجتمع مع ما يدورُ فيه من احداث سياسةٍ ام فكرية ام اقتصاديةٌ بمجموعها صارتْ عوامل دافعة لتغييرِ التعليمِ ومساراتهِ، بالنتيجة حدثَتْ النقلةُ في هذه الاماكن ومهدت لاستحداث المدارس[١٩].

المدرسة الاولى في عهد الدولة العربية الاسلامية:

يعتبر جامع القرويين [٢٠] بفاس في المغرب العربي أول مدرسة بنظام جامعي فكانت بدايته كبدايات باقي المساجد كحلقات علمية ودينية وعلوم القرآن وتحفيظه[٢١].

بعد ذلك تطورت عملية التعليم بإنشاء مدرسة داخلية في المسجد الجامع لاستقبال الطلاب احتوت على عدد من قاعات الدروس، وكان لهذه المدرسة نظامٌ دقيقٌ وفريدٌ من نوعه في ايام الدراسة فكانتْ هناك صفوفٌ ذات الاستاذ الواحد وذات الاستاذين وهناك الصفوف التي لا يحضرها الا المعلمون، والصفوف التي لا يؤذن فيها للأحداث بالحضور. كذلك كان هناك عادة تنصيب سلطان للطلبة ربيع كل عام يمتطي جواده الذي أُهدِيَّ اليه من قبل الامير وترفع فوقه مظلات السلاطين وهو يَتَخِذُ اعضاءً طلبةً من اختياره و كانَتْ مؤلفاتُ مدرسي مدرسة القَرويين ان تُطبَعُ في المغربِ، و كان الفضلُ لاختيارِ القيافةِ البيضاء يرجعُ لمدرسةِ القرويين، وكان التعليمُ للرجالِ والنساءِ على حدٍّ سواء[٢٢].

كان هناك شروط خاصة كان يجب ان توفر قبل الالتحاق بجامعة القرويين هي ان يكون المتقدم قد اكمل مرحلة الكتاتيب والتي تنصُّ على اتقان القرآن الكريم قراءة وكتابة، كذلك يجب ان يكون ملم بقواعد اللغة العربية [٢٣]. اما المواد التي كانت تتناولها جامعة القرويين فهي وفي المرتبة الاولى علوم الدين بفروعها واللغة والادب كذلك ابدعوا في تدريس العلوم البحتة كالحساب والهندسة والعلوم الطبية وعلوم الفلك[٢٤].

رأينا فيما سبق ان مدرسة القرويين كان لها نظامٌ جامعيٌّ لكنَّ هذا النظام داخل اروقة المسجد الجامع و هنا يثارٌ سؤالٌ مهمٌ للغايةِ هل هذه المدرسةُ الوحيدةُ على هذا النظام المشترك؟ الجوابُ في الحقيقة تمَّ انشاء مدارسَ على نفسِ النظامِ بعد مدرسةِ القرويين على ايدي علماء عرب عددها اثنتي عشرَةَ مدرسةً[٢٥].

ظلَّ الحالُ كما هو عليه من تشجيع للعلم والعلماء وللحركة العلمية بصورةٍ عامةٍ الى ان جاءَ عهدُ نظام الملك[٢٦] في الحقيقة هذا الرجل احدث شيئاً جديداً قلب المدارسَ من حالتها السابقةِ المشتركة الى حالةٍ خاصةٍ بشكل مستقلٍ جداً عن الجامع، اذ فتحَ مدارسَ عُرِفَتْ باسمه النظاميات في عدد من المدن كان حصةُ بغدادَ والبصرة اثنتين منها والتي كانت لها الفضل في امداد الدولة بالقضاة والمدرسينَ والكتبةِ والموظفين والاداريين الذين كان لا يُستغنى عنهم.

المدرسة النظامية ببغداد:

بيَّنا اعلاه ان مدرسةَ القرويين كان النظامُ التعليميٌّ فيها مشتركاً بين المسجدِ والمدرسةِ. الا ان المدرسةَ النظاميةَ بعهدِ نظام الملكِ احدثَ شيئاً جديداً قلبَ المدارسَ من حالتها السابقةِ الى حالةٍ خاصةٍ، الدولة هي المسؤولة عنها.

وتعتبر نظاميةُ بغداد كأولِ مدرسةٍ أُقيمَتْ في التاريخ الاسلاميّ لها نظامُها ومنهاجُها الخاص بالتدريسِ ولها موارِدُها المالية الثابتة تصرف على طلابها ومدرسيها[٢٧].

كان الشروع في البناءِ عام (٤٥٧هـ) وافتُتِحَتْ بعد سنتين يوم السبت في العاشر من ذي القعدة عام (٤٥٩هـ)، وعُيِنَ زمن افتتاحِها الشيخُ ابا اسحاق الشيرازي[٢٨] استاذاً ومديراً فيها.

وتقع نظاميةُ بغدادَ في الجانبِ الشرقي من بغداد في وسط سوقِ الثلاثاء[٢٩] فوقَ دارِ الخلافةِ العباسيةِ اي انه بينها وبين المدرسة المستنصرية، وكان للمدرسة سوقٌ كبيرٌ يُقالُ لها سوقُ المدرسةِ النظاميةِ، ومشرعةٌ تعرفُ بمشرعةِ المدرسة، كانتْ مدرسةٌ متكاملةٌ من كلِّ النواحي من حيثُ القاعاتِ الدراسيةِ والمخازن وغرف المعيشةِ وغرفِ الادارةِ والمكتبةِ وباقي الملحقات البنائية[٣٠]، كانت هذه المدرسةُ غايةً في الروعةِ والحسنِ والجمالِ، انفقَ نظامُ الملكِ على بنائها "مئتي الف دينارٍ"، وكتب نظامُ الملك اسمَه عليها ولتحمسِه للمذهبِ الشافعيِّ كتب اسم الحسن الاشعريِّ على بابِ المدرسةِ، وقد شيدَ نظامُ الملكِ حولَ المدرسةِ اسواقاً واوقفَ عليها ضياعاً ومخازنَ ودكاكين[٣١]. وكان يؤمُ هذه المدرسةَ الشبان ممن اكملوا المقدماتِ وكانوا يتلقون فيها اعلى علوم زمانهم كما كانوا يسكنون في اقسامها الداخلية المخصصة لهم فيها، ومثلما نوهنا قبل قليل ان نظامية بغداد اشهر هذه النظاميات لعظم المدرسين الذين حاضروا فيها وكثرة العلماء الذين تخرجوا منها، ومن الضروري التنويه على ان نظام الملك هو اول من وضع هذه المدارس المتكاملةَ والمستقلةَ من ناحيةِ التخطيط والبناء والعزلة التامة لتوفير الجوِّ المناسبِ للطلبةِ، لابل وضع اساساً خطَتْ على خطاه المدارس والتي تلته في الزمن في مصر وحتى أوربا فالجامعات الاوربة اليوم ماهي في اساسها الا تقليدٌ لنظاميةِ بغدادَ[٣٢].

اندثرَ هذا الصرحُ وانطمسَتْ اخبارُه سنة(٨٢٧هـ/١٤١٤م) عندَ اضطرابِ الوضعِ السياسيِّ في العراقِ[٣٣].(مخطط-١)

اسلوب التدريس في نظامية بغداد:

خصصت نظاميةُ بغداد للمذهب الشافعيِّ بصورةٍ رئيسيةٍ اصلاً فورعاً، واشترطَ ذلك لمن تولى التدريسَ فيها[٣٤]. التدريسُ باللغةِ العربيةِ حصراً ولا يسمحُ لأي مدرسٍ للتداول بغير اللغةِ العربية لابل حتى المصنفات التعليمية على اختلاف اختصاصاتها كانت باللغة العربية وكان ينكر على ايِّ استاذٍ استعمالُ لغةٍ او مصطلحاتٍ غير العربيةِ، اما المناهجَ الدراسية فكانت مقتصرةٌ على المذهبِ الشافعيِّ في الفقهِ والاشعريِّ في علمِ الكلامِ، وجعل من شروط قبول الطالب فيها ان يكون من الشافعيّةِ اصلاً وفرعاً وكذلك الموظفين القائمين عليها[٣٥].

المدرسة المستنصرية:

استمرت عجلةُ التعليم من بعد نظاميات نظام الملك لكن هذه المدارسَ كانت مختصة بتدريسِ مذهبٍ واحدٍ أو مذهبين على الاكثر الى ان اتى عهدُ المستنصر بالله[٣٦]. فشرع ببناء هذه المدرسة عام(٦٢٥هـ/١٢٢٧م). وتم افتتاحها عام(٦٣١هـ/ ١٢٣٤م). انفق على بنائها اموالاً كثيرة وكان لافتتاحها احتفالٌ مهيبٌ[٣٧].

وقد استقدم للبناء امهر البنائين واحذقهم فوضعوا قياساتها ورسم ابعادها وبالغوا في اتقان بنائها وتجويد زخارفها الهندسية والنباتية المحفورة بالآجر بصورة دقيقة[٣٨]، وهذه الزخارف كانت ولازالت تغطي كل تفاصيلها العمارية من هندسية ونباتية وكتابية بصورة دقيقة جداً[٣٩].

وسُجِلُ التاريخُ اعلاه على واجهة مدخل المدرسة، ويعتبر بناء المدرسة المستنصرية تطوراً جديداً في تاريخ بناء المدارس في العصر الاسلامي لان المدارس قبلها كانت تبنى لمذهب واحد، اما المدرسة المستنصرية فقد بنيت لتدريس المذاهب الاربعة كما هو مثبت في الكتابة التذكارية على الواجهة[٤٠]. ليس هذا فقط بل جعلت هذه المدرسةُ الى جانبِ تدريسِ المذاهب الاربعة والقران الكريم والحديث ومدرسة للطب والصيدلة والفلك، وعنيت كذلك بالمكتبات الضخمة واعمارها ورفدها بالكتب النفيسة وهي عصب المدرسة وكان لها خازن ومشرف ومناول للكتب اذ كانت اعظم مكتبة في مدارس بغداد اجمع[٤١].

هذا وان الانظمة الحية المتطورة التي جاءت بها المدارس الاسلامية كان لها الاثر المحمود في تطوير الدراسات في العالم الاسلامي بخاصة والعالم اجمع بشكل عام.

كما لاحظنا ان النظام التعليمي في المدارس الاسلامية انها عنيت بالتنظيم الذي يمكن ان نطلق عليه (نظام جامعي) لما لاحظناه من تنظيم متناهي من تقسيم في المهام من الادارة الى اصغر طالب في المدرسة[٤٢](مخطط-٢).

النظام الداخلي للمدرسة

اما نظامها الداخلي فقد كان على اعلى درجة من التنظيم والانضباط، فكل فرد داخل هذه المنظومة كان يعرف ماله وما عليه. ومما تميزت به المدرسة المستنصرية ومن لحقها من المدارس ان الادارة كانت قويةً جداً فهناك جملة من الشروط التي لا يمكن لأيّ احدٍ الاخلالُ بها او عدم الالتزام الكامل بها من ضمنها ان عدد طلاب الفقه هم (٢٤٨) لهم الجراية الكاملة من نقود ومأكل وملبس، ولكل مذهب من المذاهب الاربعة استاذاً واربعة مساعدين اشبه بالمعيد في ايامنا هذه، دار القران يكون فيها ثلاثون صبياً من الايتام مع جرايتهم الكاملة التي تكفيه عليهم شيخ يلقنهم القرآن الكريم مع مساعدٍ له كذلك دار الحديث فيها شيخٌ عالمٌ بالحديث مع مساعدين له لهم جرايتهم الكاملة والطبيب في المكان المخصص له وعندهم استاذٌ يدرس الطب وجد لراحة الطلبة اذا اصابهم مرضٌ او حادثٌ[٤٣] و استاذٌ يعلم الحسابَ والفلكَ وله اجورهُ الكاملةُ من مأكلٍ وملبس[٤٤].

ومن مميزاتِ هذا الصرحُ العلميٌّ الكبيرُ نظامُ المساكنِ الداخليةِ كان مفخرةً من مفاخر النظام المدرسي اذ توفرت فيه الاجواء المناسبة من اجل انقطاع الطالب للعلم فقط [٤٥].

اما الحرس على المدرسة فكان لها الحراس الذين يحرسونها بشكل دوري على مدار اليوم فلم يكن الدخول والخروج منها واليها عشوائياً اذ عني هؤلاء الرجال على تنظيم ادخال المعنيين والمشتغلين فيها ومنع من لا ينتمي اليها او الغير مرغوب فيهم من الدخول[٤٦].

والفراشون كانوا يتولون عملية تنظيف المبنى وكثيراً ما كانت هذه الاعمال توزع بينهم بالتناوب ايضا كان هناك العمال المختصون الذين يتولون الاشراف عليها والحرص على انارة المدرسة واقسام الطلاب الداخلية وتعمير القناديل بالزيت وتنظيفها بشكل دوري[٤٧].

الاستنتاجات:

مثلما رأينا ان التعليم كان محبباً قبل عهد الرسول (ﷺ) وكان القوم حريصين كل الحرص على تعلم القراءة والكتابة. الى ان جاء الرسول (ﷺ) فكان موقفهُ مُعزِزاً لموقفِ الذين سبقوه في الحث على تعليم القراءة والكتابة الى اكبر قدر ممكن من المسلمين لتعلم ونقل مفاهيم القران الكريم وسنته، فرأينا بعد هذا الوقت ان اماكن التعليم كانت في بادئ الامر عبارةٌ عن حلقاتِ علمٍ في المساجدِ ولما ضاقَتْ هذه الحلقاتُ بطلابِ العلمِ خرجَ العلماءُ بعملية التعليم من هذه المساجد الى الخارج وكانت بعدة اماكن منها الكتاتيبُ ودورُ العلمِ والمكتباتُ ومجالسُ العلماءِ لكن الحركةَ العلميةَ بتوهجٍ مستمرٍ تحتاجُ الى مراكز اكبر فنتجت فكرة انشاء المدارس وكانت اول الامر مشتركة مع المسجد بنظام جامعي الا وهي المدرسة التي وجدت بالاشتراك مع جامع القرويين بفاس، وكانت مدرسة بنظام جامعي على اعلى مستوى من الانضباط خرجت اعلام من العلماء على مستوى العالم.

وليس ببعيد من الزمن جاء نظام الملك والذي كان محباً للعلم والعلماء والذي اسس المدارسَ النظامية في مدنٍ عدةٍ كان نصيبُ العراقِ منها اثنين(٤٥٩هـ)، وايضاً المدرسة المستنصرية (٦٣١هـ) فكانت مدارس ملتزمة من قبل الدولة لها اوقافها المسؤولة عن صرف رواتب المدرسين والطلبة والعاملين فيها وكانت ذا نظام اداري محنك جداً خرجت الكثير من العلماء على مدار سنوات الدراسة فيها.

الهوامش:

(١): الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن، "الخلاف"، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ج١، ١٩٨٧م، ص٣٦٨.

(٢): شلبي أحمد، "تاريخ التربية الاسلامية، "دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٤م، ص٢٠٢.

(٣): سورة المجادلة، ص٨٥.

(٤): سورة الزمر، ص٣٩.

(٥): مسكويه ابو علي احمد بن محمد، "تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق"، القاهرة، ١٩٣٣م، ص٤.

(٦): الارقم بن عبد مناف بن اسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، كنيته ابا عبدالله، امه تماضر بنت حديم السهمية ويقال خزاعية، وهو سابع رجل يدخل الاسلام والثاني عشر ممن اعلنوا اسلامهم كان بيته على جبل الصفا والذي كان النبي والمسلمين الاوائل يجتمعون فيها لتعليم القران الكريم وشرائع الاسلام، للمزيد من التفصيل ينظر، الزركلي، خير الدين، "الاعلام"، دار العلم للملايين، لبنان، ج١ ١٩٨٠، ص٢٨٨.

(٧): سفيان بن أمية: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (٥٦٧-٦٥٢هـ)، من سادات قريش في الجاهلية وهو والد معاوية رأس الدولة الكبير. كان من رؤساء المشركين في حربهم على الاسلام وعند ظهوره قاد قريش وكنانة يوم أحد ويوم الخندق قتال المسلمين. اسلم يوم فتح مكة وشهد حنيناً والطائف وفقعت عينه يوم الطائف وفقعت الاخرى يوم اليرموك، للمزيد من التفصيل ينظر، الزركلي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٠١.

(٨): بشر بن عبد الملك: اصله من كنده يقال انه اخو الملك أكيدر ملك دومة الجندل قبل عصر النبوة وهو من استطاع نقل الخط العربي الى شبه الجزيرة العربية وتحديداً في مكة الى اشراف قريش، للمزيد ينظر، الزركلي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤.

(٩): طلس، محمد أسعد، "التربية والتعليم في الاسلام"، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧م، ص١٩

(١٠): الاهواني، أحمد فؤاد، "التربية في الاسلام"، ط٢، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٦٥.

(11): Encyclopedie Del Islam, Nouvelle Edition, Leiden, 1917, p111.

(12): Creswell Keppelarchi bald ,"The Origin of the cruclform plan of crirene madrasas",France,paris,partxxl.1929,p32.

(١٣): الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، "سير اعلام النبلاء"، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج١٩، ١٤٠٣هـ/١٩٩٣م، ص٢٩٠.

(١٤): ابن البراج، عبد العزيز،"المهذب"، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٦هـ/١٩٩٦م، ص٣٨.

(١٥): شمساني ، حسن ،"مدارس دمشق في العصر الايوبي "، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٨٣م، ص١١.

(١٦): الحموي، ياقوت بن عبدالله (٥٧٤/٥٢٢هـ)(١١٧٨/١٢٢٥م)، "معجم الادباء"،ط٣،دار الفكر،دمشق،ج٧ ١٩٨٠م، ص١٩٣.

(١٧): ابن ابي اصيبعة، أحمد بن القاسم، "عيون الابناء في طبقات الاطباء، "دار الثقافة ، بيروت،ج١، ١٩٨٠م، ص٢٤٢.

(١٨): المقريزي، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر(٧٦٤-٨٤٥هـ)(١٣٦٤-١٤٤٢م)، "المواعظ والاعتبار بالخطط والاثار "، ط٣، دار العرفان، بيروت،ج٢، ١٩٦٥م، ص٢٦.

(١٩): فضل الله، حسن، المدرسة في الاسلام، دار الهادي، بيروت ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٨٧.

(٢٠): القرويين: شيد هذا الجامع ادريس الثاني ابن ادريس بن عبد الله الحسن المثنى الاول وقد ولد ادريس الثاني عام(١٧٧هـ-٢١٣هـ)(٧٩٣-٨٢٨م)، في وليلي جبل يبعد (٣٠) كم عن مكناس توفي وهو جنين في بطن امه، كفله مولا ابوه واسمه راشد ثم قتل راشد وقام بكفالته شخص يقال له خالد العبدي، تولى الامارة وهو ابن احد عشر سنة وبنى مدينة فاس، كان جواداً فصيحاً حازماً للمزيد ينظر، الزركلي، المصدر السابق، ج١،ص٢٧٨.

(٢١): فضل الله، المصدر السابق، ص٥٣.

(٢٢): التاري، عبد الهادي،"جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس"، مج١، دار نشر المعرفة، الرباط، ١٩٧٣م، ص١٣.

(٢٣): المصدر نفسه، ص١٢٦.

(٢٤): المصدر نفسه، ١٢٨.

(٢٥): معروف، ناجي، "اصالة الحضارة"، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥م، ص٦٠.

(٢٦): نظام الملك: الخواجة نظام الملك قوام الدين ابا علي الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي، الوزير المشهور لألب ارسلان وملك شاه. ولد يوم (١٥ ذي القعدة عام ٤٠٨هـ) في قرية موقان قرب مدينة طوس في ايران، كان محباً للعلم والعلماء. وهو من ابرز الوزراء والرجال الذين ظهروا في ايران وأكبر رجالاتها وامتاز بالحكم والعدل ، وكان ذا همة في بناء المدارس والخانقهات التي لم يرى الانسان لها نظيراً حتى الان. قتل على يد شاب من الديلم في العاشر من رمضان عام ٤٨٥هجري، في نهاوند للمزيد من التفصيل ينظر: الزركلي، المصدر السابق، ج٨، ص٣٤.

(٢٧): الاصفهاني، الفتح بن علي بن محمد البنداري (ت ٦٤٢م)، "تاريخ دولة ال سلجوق"، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٥.

(٢٨): الفيروز ابادي، ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، سكن بغداد وتفقه على يد جماعة من العلماء، الاربلي، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر ابن خلكان البرمكي (ت-٦٨١هـ)، "وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان"، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج١، بلا تاريخ، ص٢٩، ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة، كان امام الشافعية ومدرس المدرسة النظامية وشيخ عصره، الذهبي، سير اعلام النبلاء ج١٨، ،ص٤٥٢، زاهداً عابداً ورعاً كبير القدر معظماً محترماً اماماً في الفقه والاصول والحديث وفنون كثيرة، له مصنفات كثيرة قيل عنه انه كان حجة الله على أئمة عصره توفي فقيراً سنة ست وسبعين واربعمائة للهجرة، المغراوي ، ابو سهل محمد بن عبد الرحمن، "موسوعة مواقف السلف والعقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عام على مدى ١٥ قرناً)"، ج٦، المكتبة الاسلامية، القاهرة،ط١، بلاتاريخ،ص٣٩٣.

(٢٩): الاصفهاني المصدر السابق، ص٧٧.

(٣٠): ابن بطوطة: العلي، ابو عبدالله محمد بن ابو عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي بن بطوطة بن حميد الغازي بن قريش (٧٠٣-٧٧٩)هـ(١٣٠٤-١٣٧٧م)، "رحلة ابن بطوطة"، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٢٥.

(٣١): يوسف، شريف، "تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور"، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م، ص٤١٢.

(٣٢): نفيسي، سعيد، "المدرسة النظامية في بغداد"، منشورات الجامعة اللبنانية قسم اللغة الفارسية للدراسات الادبية، العدد١-٢، السنة التاسعة، ١٩٦٧م، ص٦٧.

(٣٣): يوسف، المصدر السابق، ص٤١٣.

(٣٤): معروف، ناجي، "مدارس قبل النظامية"، مطبعة المجمع العلمي العراق، ١٩٧٣م، ص٨.

(٣٥): ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد القرشي التميمي البكري (٥١٠-٥٩٧)هـ(١١١٦-١٢٠١)م، "المنتظم في تاريخ الامم والملوك"، حيدر اباد، بلا تاريخ ، ص٣٩.

(٣٦): المستنصر بالله (٥٨٨-٦٤٠)هـ(١١٩٢-١٢٤٢)م، ابو جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر احمد، والي بغداد بعد وفاة ابيه سنة(٦٢٣هـ/١٢٢٥م)، دامت خلافته حتى وفاته، كان ذا سيرة حسنة بين الناس نشر العدل وقضى على الفتن ، كان يسمى القاضي لرجاحة عقله، وكان يحب اهل العلم ومجالسهم ووصل الحال به انه انشأ مكتبة ضخمة في قصره وهو من بنى المدرسة المستنصرية، للمزيد من التفصيل ينظر، الزركلي، المصدر السابق، ج٧، ص٣٠٤.

(٣٧): البلنسي، ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الاندلسي الشاطبي (٥٣٩-٦١٤)هـ(١١٤٤-١٢١٧م)،"رحلة ابن جبير"، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ، ص٢٠٥.

(٣٨): ابن بطوطة، المصدر السابق، ص٢١٥.

(٣٩): للمزيد من التفصيل حول المدرسة المستنصرية ينظر، الاعظمي، خالد خليل حمودي، "المدرسة المستنصرية في بغداد"، دار الحرية للطباعة، بغداد،١٩٨١م، ص١٧.

(٤٠): الاطرقجي، رمزية، "بغداد مدينة السلام"، بغداد، ١٩٩٠م، ص٥١٧.

(٤١): أمين، حسين، "المدارس الاسلامية في العصر العباسي واثرها في تطور العلم"، بحوث في تاريخ الحضارة الاسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٧٦م، ص١٠٨.

(٤٢): المصدر نفسه، ص١٠٩.

(٤٣): المزيني ابراهيم بن محمد الحمد، "المساكن الداخلية في المدارس الاسلامية"، مجلة المؤرخ العربي، العدد السادس، المجلد الاول، ١٩٩٨م، ص٣١٢.

(٤٤): السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت٩١١هـ)، "تاريخ الخلفاء"، تحقيق ابراهيم صالح، دار صادر ، بيروت، ،ط٢، ٢٠٠٨م، ص٥٤٥.

(٤٥): عبد العزيز، محمد عادل، "التربية الاسلامية في المغرب العربي اصولها الشرقية "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص٥٣.

(٤٦): سعد الدين، محمد منير، "المدرسة الاسلامية في العصور الوسطى"، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ص١١٧.

(٤٧): المزيني، المصدر السابق، ص٣١٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. الاهواني، أحمد فؤاد، "التربية في الاسلام"، ط٢، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م. ابن ابي اصيبعة، أحمد بن القاسم، "عيون الابناء في طبقات الاطباء، "دار الثقافة ، بيروت،ج١، ١٩٨٠م.
٢. ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد القرشي التميمي البكري(٥١٠-٥٩٧)هـ(١١١٦-١٢٠١)م ،"المنتظم في تاريخ الامم والملوك"، حيدر اباد، بلا تاريخ.
٣. الاصفهاني، الفتح بن علي بن محمد البنداري(ت ٦٤٢م)،"تاريخ دولة ال سلجوق"، تحقيق لجنة احياء التراث العربي ، ط٣، بيروت، ١٩٨٠م.
٤. الاعظمي، خالد خليل حمودي، "المدرسة المستنصرية في بغداد"، دار الحرية للطباعة ، بغداد،١٩٨١م.
٥. الاطرقجي، رمزية، "بغداد مدينة السلام"، بغداد، ١٩٩٠م.
٦. أمين، حسين، "المدارس الاسلامية في العصر العباسي واثرها في تطور العلم"، بحوث في تاريخ الحضارة الاسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٧٦م.
٧. البلنسي، ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الاندلسي الشاطبي (٥٣٩-٦١٤)هـ(١١٤٤-١٢١٧م)،"رحلة ابن جبير"، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.
٨. ابن بطوطة: العلي، ابو عبدالله محمد بن ابو عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي بن بطوطة بن حميد الغازي بن قريش (٧٠٣-٧٧٩)هـ(١٣٠٤-١٣٧٧)م،"رحلة ابن بطوطة"، دار صادر، بيروت، ١٣١٢هـ/١٩٩٢م.
٩. ابن البراج، عبد العزيز، "المهذب"، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٦هـ/١٩٩٦م.
١٠. التاري، عبد الهادي، "جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس"،مج١،دار نشر المعرفة، الرباط، ١٩٧٣م.

١١. الحموي، ياقوت بن عبدالله (٥٧٤/٥٢٢هـ)(١١٧٨/١٢٢٥م)، "معجم الادباء"، ط٣، دار الفكر، دمشق، ج٧ ١٩٨٠م.
١٢. الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عثمان بن قايماز (ت-٧٤٨هـ)، ط٣ تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة،ج١٨-١٩، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
١٣. الزركلي ، خير الدين، "الاعلام"، دار العلم للملايين، لبنان، ج١ ١٩٨٠م.
١٤. سعد الدين، محمد منير، "المدرسة الاسلامية في العصور الوسطى"، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.
١٥. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت٩١١هـ)، "تاريخ الخلفاء"، تحقيق ابراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.
١٦. شمساني، حسن، "مدارس دمشق في العصر الايوبي "، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.
١٧. شلبي أحمد، "تاريخ التربية الاسلامية"، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٤م.
١٨. الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن، "الخلاف"، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ج١، ١٩٨٧م.
١٩. ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر ابن خلكان البرمكي(ت-٦٨١هـ)، "وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان"، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج١، بلا تاريخ.
٢٠. عبد العزيز، محمد عادل، "التربية الاسلامية في المغرب العربي اصولها الشرقية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
٢١. طلس، محمد أسعد، "التربية والتعليم في الاسلام"، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧م.
٢٢. فضل الله، حسن، المدرسة في الاسلام، دار الهادي، بيروت،٢٠٠٩م.
٢٣. المزيني ابراهيم بن محمد الحمد، "المساكن الداخلية في المدارس الاسلامية"، مجلة المؤرخ العربي، العدد السادس، المجلد الاول، ١٩٩٨.
٢٤. معروف، ناجي، "مدارس قبل النظامية"، مطبعة المجمع العلمي العراق، ١٩٧٣م.

٢٥. معروف، ناجي، "اصالة الحضارة"، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥م.
٢٦. المقريزي، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر (٧٦٤-٨٤٥هـ)(١٣٦٤-١٤٤٢م) ،"المواعظ والاعتبار بالخطط والاثار "، ط٣، دار العرفان، بيروت، ج٢، ١٩٦٥م.
٢٧. مسكويه ابو علي احمد بن محمد، "تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق"، القاهرة، ١٩٣٣م.
٢٨. المغراوي، ابو سهل محمد بن عبد الرحمن، "موسوعة مواقف السلف والعقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عام على مدى ١٥ قرناً)"، ج٦، المكتبة الاسلامية، القاهرة، ط١، بلا تاريخ.
٢٩. نفيسي، سعيد، "المدرسة النظامية في بغداد"، منشورات الجامعة اللبنانية قسم اللغة الفارسية للدراسات الادبية، العدد١-٢، السنة التاسعة، ١٩٦٧م.
٣٠. يوسف، شريف، "تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور"، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

المصادر الاجنبية

(1) Creswell Keppelarchi bald ,"The Origin of the cruclform plan of crirene madrasas" ,France ,paris ,partxxl .1929.
(2)): Encyclopedie Del Islam, Nouvelle Edition, Leiden, 1917.

المخططات

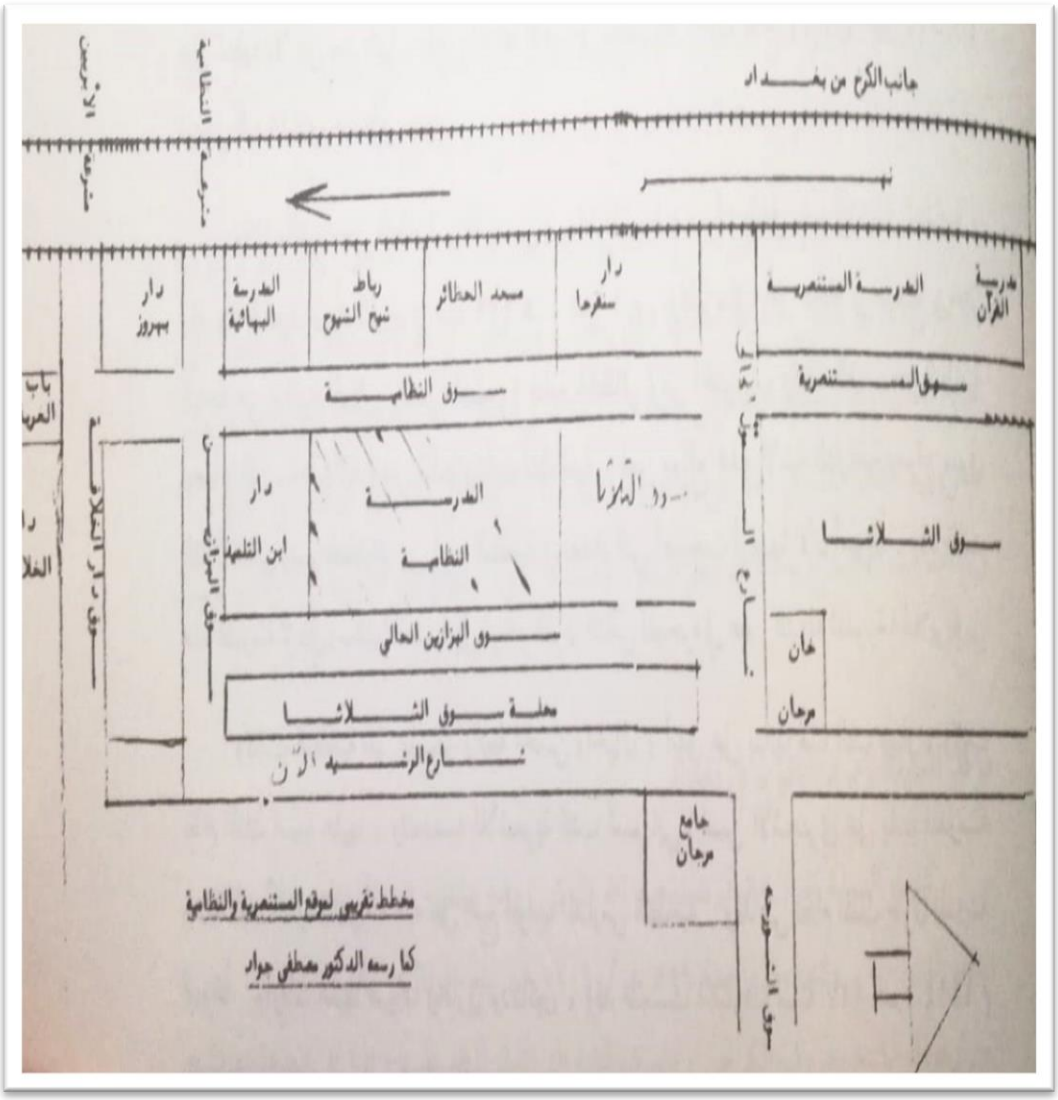

(مخطط–١) تخطيط المدرسة النظامية

عن شريف يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية/ص٤١٠

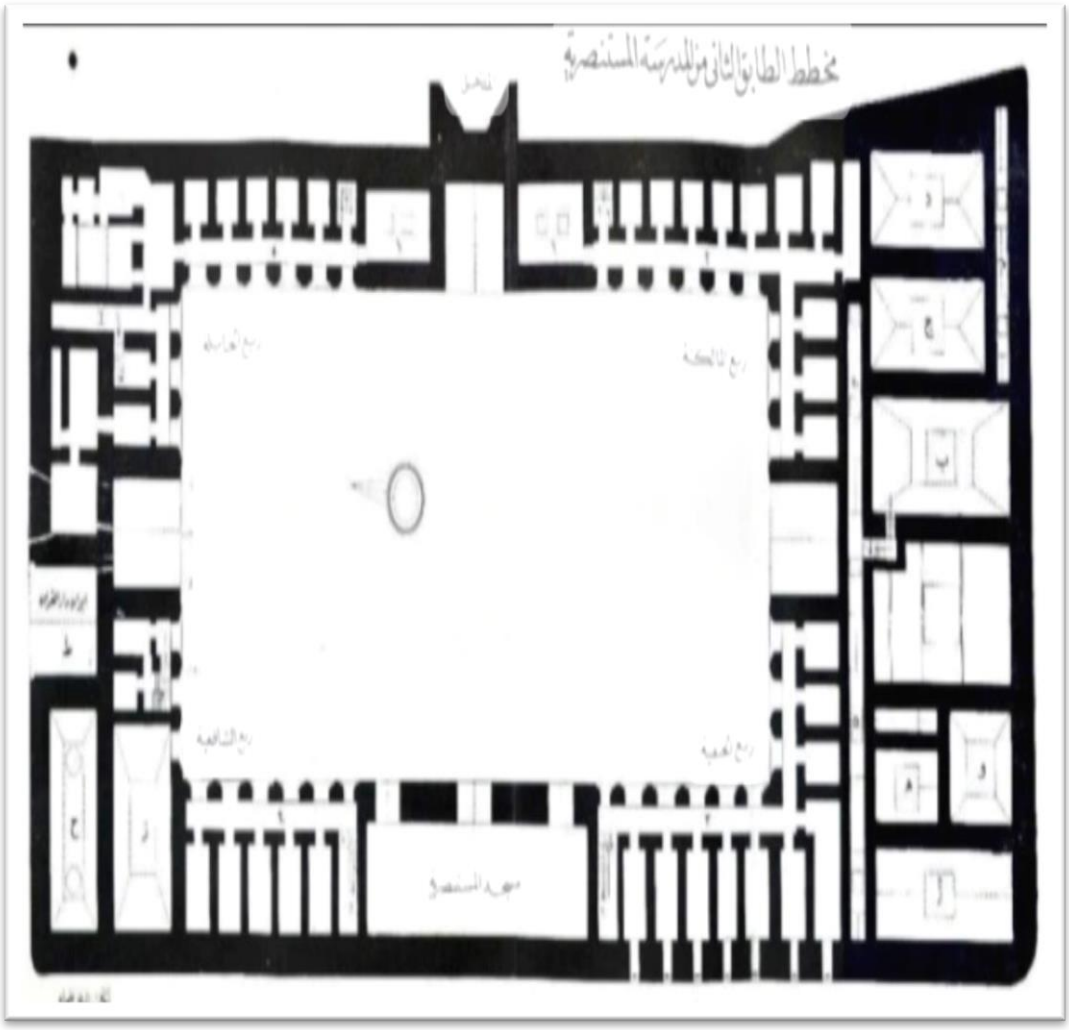

(مخطط-٢) تخطيط المدرسة المستنصرية

عن غازي رجب محمد ، العمارة العربية الاسلامية/ص٢٧٠